

﴿كَهَيْعَصَ ١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ

نِدَاءً خَفِيًّا ٣﴾ [مريم: 1 - 3]

### ❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ فِي آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ بَشَرِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَخَتَمَ الْآيَةَ فِي ذِكْرِ الْحُضِّ عَلَىٰ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ لِمَنْ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ، نَاسَبَ أَنْ يَبْدَأَ مُطْلَعٌ هَذِهِ السُّورَةَ بِذِكْرِ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ الدَّعَاءُ الْخَفِيُّ، لِيَجْمَعَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ بَشَرٌ يَعْتَرِيهِمْ مَا يَعْتَرِي غَيْرَهُمْ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ، وَالْآخِرُ: التَّمَثِيلُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَهُوَ الدَّعَاءُ، فَتَكُونُ الْآيَةُ الْآخِرَةُ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ كَالْتَوَاطُئَةِ النَّظَرِيَّةِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ أَشِيرَ فِي خَتَامِ سُورَةِ الْكَهْفِ إِلَى الْوَحْيِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَهَذَا شَرَعَ فِي ذِكْرِ مُعْجَزَةٍ حَسِيَّةٍ.

التَّوَاطُئَةُ النَّظَرِيَّةُ  
لِلدَّنَاتِ  
إِلَى التَّمَثِيلِ  
بِالْأَعْمَالِ  
الصَّالِحَةِ

### ❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿ذِكْرٌ﴾: يُقَالُ الذِّكْرُ تَارَةً وَيُرَادُ بِهِ هَيْئَةُ النَّفْسِ بِهَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَكْتَسِبُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَيُقَالُ تَارَةً لِحُضُورِ الشَّيْءِ الْقَلْبَ أَوْ الْقَوْلَ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: الذِّكْرُ ذِكْرَانِ: ذِكْرٌ بِالْقَلْبِ، وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ضَرْبَانِ: ذِكْرٌ عَنْ نِسْيَانٍ، وَذِكْرٌ لَا عَنْ نِسْيَانٍ بَلْ عَنْ إِدَامَةِ الْحِفْظِ<sup>(1)</sup>، وَمِنْ الْمَجَازِ: الذِّكْرُ بِمَعْنَى الشَّرَفِ، وَفُسِّرَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]<sup>(2)</sup>، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً﴾ مَعْنَاهُ: ذِكْرُ رَبِّكَ عَبْدَهُ بِرَحْمَتِهِ<sup>(3)</sup>.

(1) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتِ: (ذِكْرٌ).

(2) الزَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (ذِكْرٌ).

(3) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (ذِكْرٌ).

(2) ﴿رَحِمَتْ﴾: (رحم) أصل واحد يدل على الرِّقَّةِ والعَطْفِ والرَّأْفَةِ<sup>(1)</sup>، والرَّحْمَةُ في الأصل: رِقَّةٌ تقتضي الإحسانَ إلى المرحوم، وقد تُستعملُ في الرِّقَّةِ المُجَرَّدَةِ عن الإحسانِ، وقد تُستعملُ في الإحسانِ المُجَرَّدِ عن الرِّقَّةِ، نحو: رحمَ الله فلاناً، وإذا وُصِفَ بها الله سبحانه فليس يُرادُ بها إلا الإحسانُ المُجَرَّدُ، وعلى هذا يقال: الرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ إِنْعامٌ وإفضالٌ، وَمِنَ الْآدَمِيِّينَ رِقَّةٌ وتعطفُ<sup>(2)</sup>، وقد يُعَبَّرُ بِالرَّحْمَةِ عن كلِّ خيرٍ مِنْ رِزْقٍ وغيرِهِ؛ كقوله ﷻ: ﴿أَبْنِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الإسراء: 28]<sup>(3)</sup>، والمرادُ بِرَحْمَتِهِ سبحانه لَزَكْرِيَّا ﷺ: استجابةُ دُعَائِهِ، كما سيُصرَّحُ بذلك بقوله: ﴿يَزْكُرِيَا إِنَّا نَبْشُرُكَ بِعِلْمٍ أَسْمُهُ يَجِيءُ﴾<sup>(4)</sup>.

(3) ﴿عَبْدُهُ﴾: العُبُودِيَّةُ: إظهارُ التَّذَلُّلِ، والعِبَادَةُ أبلغُ منها؛ لأنها غايةُ التَّذَلُّلِ، ولا يستحقُّها إلا الله تعالى<sup>(5)</sup>، والعبدُ يقالُ على أَضْرَبٍ: الأولُ: عبدٌ بحُكْمِ الشَّرْعِ؛ وهو الإنسانُ الَّذِي يَصْحُبُ بَيْعُهُ وِشْرَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ، نحو: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة: 178]، الثاني: عبدٌ بالإِجَادِ، وذلك لا يكونُ إلا لله، وهو المقصودُ بقوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عِاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾<sup>(6)</sup> [مريم: 93]، والثالثُ: عبدٌ بالعِبَادَةِ والخِدْمَةِ، والنَّاسُ في هذا نوعانِ: عبدٌ لله مُخْلِصٌ، وهو المقصودُ بنحوِ قوله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [ص: 41]، وعبدٌ للدُّنْيَا مُعْتَكِفٌ على خِدْمَتِهَا ومراعاتِها<sup>(7)</sup>.

(4) ﴿نَادَى﴾: النَّدَاءُ: رَفْعُ الصَّوْتِ وظُهُورُهُ بطلبِ الإِقْبَالِ، ويُطْلَقُ كَثِيرًا على الكلامِ الَّذِي فِيهِ طَلَبُ إِقْبَالِ الذَّاتِ لِعَمَلٍ، أو إِقْبَالِ الذَّهْنِ لَوْعِي كَلامٍ، ولذلك سُمِّيَتْ الحُرُوفُ الَّتِي يُفْتَتَحُ بِهَا طَلَبُ الإِقْبَالِ حُرُوفَ النَّدَاءِ، ويُطْلَقُ على الدُّعَاءِ بطلبِ حاجةٍ وإن لم يكن فيه نداءً<sup>(8)</sup>، والنَّدَى: بَعْدَ مَذْهَبِ الصَّوْتِ، وتنادَوْا: نادَى بعضهم بعضاً<sup>(9)</sup>، وأصلُ النَّدَاءِ مِنَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).

(2) الراغب، المفردات: (رحم).

(3) السمين الحلي، عمدة الحفاظ، والزيدي، تاج العروس: (رحم).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 63 / 16.

(5) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: 20 / 3.

(6) الراغب، المفردات: (عبد).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 16.

(8) الزبيدي، تاج العروس: (ندي).

النَّدى، أي: الرُّطوبة، يقال: (صَوْتُ نَدْيٍ رَفِيعٌ)، واستعارة النداء للصوت من حيث إنَّ مَنْ كَثُرَ رُطوبُهُ فَمِهِ حَسَنٌ كَلَامُهُ، ولهذا يوصفُ الفصيحُ بكثرةِ الرِّيقِ<sup>(1)</sup>.

(5) ﴿خَفِيًّا﴾: (خفي) يدلُّ على السَّتْرِ، يُقال: خَفِيَ الشَّيْءُ يَخْفَى، وأخْفَيْتُهُ، وهو في خُفْيَةٍ وخَفَاءٍ، إذا سَتَرْتَهُ<sup>(2)</sup>، والخِفاءُ: ما يُسْتَرُّ به؛ كالغِطاءِ<sup>(3)</sup>، وخَفَيْتُهُ: أَظْهَرْتُهُ، والاستخفاءُ: طلبُ الإخفاءِ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ [هود: 5]<sup>(4)</sup>، ويُقابلُ الإخفاءُ بالإبداءِ تارةً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْثَرُهَا الْفُقَرَاءُ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 271] وبالإعلانِ أخرى؛ كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25]<sup>(5)</sup>، ومعنى ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾: أنَّ زكريَّا ﷺ نادى بصوتٍ خَفِيٍّ<sup>(6)</sup>.

### ❁ المعنى الإجمالي:

شرعت الآياتُ بذكر الأحرفِ المقطَّعةِ، إشارةً إلى أنَّ هذا القرآنُ من عند الله تعالى، وأنَّه منظومٌ من جنسِ كلامِ العرب، وأنَّ ما يُذكرُ فيه من أخبارٍ غيبيةٍ هي من عند الله تعالى، وبدأتِ الآياتُ بذكر حالِ زكريَّا ﷺ في دعائه الله ﷻ والتجائه إليه، وسأله بصوتٍ خَفِيٍّ مُسْتَسِرًّا بدعائه ومسألته إيَّاهُ<sup>(7)</sup>.

### ❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

#### بيان المراد بالأحرف المقطَّعة:

اختلفَ في المرادِ بالأحرفِ المقطَّعةِ في هذه السَّورةِ، فذهب

الرَّحْمَةُ مُحِيطَةٌ  
بعبادِ الله تعالى  
من كلِّ جانبٍ

الأحرفُ المقطَّعةُ  
توطئةٌ لبيان  
إعجازِ القرآنِ في  
النَّظمِ والغيبِ

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ندي).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خفي).

(3) الزبيدي، تاج العروس: (خفي).

(4) الراغب، المفردات: (خفي).

(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خفي).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 16.

(7) ابن جرير، جامع البيان: 142 / 18، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 16.

بعضهم إلى جعل كل حرفٍ رمزاً لصفاتِ الله تعالى، وقيل: **﴿كهيعص﴾** كله اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، وقيل: هذه الكلمة اسمٌ من أسماءِ القرآن<sup>(1)</sup>، وقيل: إنه اسمٌ للسورة<sup>(2)</sup>، وانتقدت هذه الأقوال؛ لعدم دلالة اللُّغة عليها لا بالحقيقة ولا بالمجاز؛ واللُّغة لا تدلُّ على ما ذكروه؛ فإنه ليست دلالة الكافِ أولى من دلالةِ الهاءِ على الكريمِ أو الكبيرِ، أو على اسمِ آخرٍ من أسماءِ الرُّسولِ ﷺ أو الملائكةِ أو الجنَّةِ أو النَّارِ، فحملهُ على بعضها دونَ بعضٍ تحكُّمٌ لا تدلُّ عليه اللُّغة أصلاً<sup>(3)</sup>، ولم يرد خبرٌ في ذلك يُعتمدُ<sup>(4)</sup>.

وقيل: هي حروفٌ مسرودةٌ على طريقةِ التَّعديديِّ<sup>(5)</sup>، وقيل بتفويضِ علمِ حقيقة ذلك إلى علامِ الغُيوبِ ﷻ<sup>(6)</sup>، والصَّحيحُ أنَّها حروفٌ ابتدئ بها للإشارة إلى إعجازِ القرآنِ الكريمِ، وأنَّ ما ورد في السَّورة من أخبارٍ غيبيةٍ هي من عند الله تعالى.

### أثر تفسير ﴿كهيعص﴾ في الإعراب:

يختلف الحكمُ الإعرابيُّ بحسبِ المعنى الذي فسَّرت به هذه الأحرفُ، وأوجهُ الإعرابِ تتمثَّلُ عموماً في الآتي:

**أولاً:** إنَّ جُعِلَ **﴿كهيعص﴾** اسماً للسَّورةِ فحملهُ الرِّفْعُ: إمَّا على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: (هذا كهيعص)، أي: مُسمًى به، وصحَّتِ الإشارةُ إليه معَ عدمِ جريانِ ذكرِهِ؛ لأنَّه باعتبارِ كونه على جناحِ الذِّكرِ صارَ في حكمِ الحاضرِ المُشاهدِ، أو على أنَّه مبتدأٌ خبرُهُ: **﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾**، أي: المُسمًى به ذكرُ رحمةِ ربِّكَ...؛ فإنَّ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 137/18 فما بعدها، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 506/21، والآلوسي، روح المعاني: 377/8.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 378/8.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 506/21.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 61/16.

(5) الآلوسي، روح المعاني: 378/8.

(6) الآلوسي، روح المعاني: 378/8.

الإعرابُ فرعٌ  
للمعنى وعُصْنُ  
المبنى

ذَكَرَهَا لَمَّا كَانَ مَطْلَعُ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ وَمُعْظَمُ مَا انْطَوَتْ هِيَ عَلَيْهِ  
جَعَلَتْ كَأَنَّهَا نَفْسٌ ذَكَرَهَا.

ثَانِيًا: إِنَّ جُعِلَ كُلُّ حَرْفٍ مِنْ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى؛  
فَفِيهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: لَا مَحَلَّ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا لِلْمَجْمُوعِ مِنَ الْإِعْرَابِ،  
وَالْآخَرُ: إِنَّ كُلَّ حَرْفٍ عَلَى نِيَّةِ الْإِتِمَامِ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، أَيُّ: هُوَ كَافٍ،  
هُوَ هَادٍ، وَهَكَذَا، أَوِ الْأَوَّلُ عَلَى نِيَّةِ الْإِتِمَامِ كَذَلِكَ، وَالْبَاقِي خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ.

ثَالِثًا: إِنَّ جُعِلَ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ مَسْرُودًا عَلَى طَرِيقَةِ سَرْدِ الْأَعْدَادِ  
فَ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ هُوَ مَا يُتَّبَعُ عَنْهُ تَعْدِيدُ  
الْحُرُوفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: الْمُؤَلَّفُ مِنْ جَنْسِ هَذِهِ الْحُرُوفِ مُرَادًا بِهِ السُّورَةُ  
ذَكَرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْخ، أَوْ اسْمٌ إِشَارَةٌ أَشِيرَ بِهِ إِلَيْهِ؛ تَنْزِيلًا لِحُضُورِ  
الْمَادَّةِ - وَهِيَ الْحُرُوفُ - مَنْزِلَةً حُضُورِ الْمُؤَلَّفِ مِنْهَا، أَيُّ: هَذَا ذَكَرُ  
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْخ، وَقِيلَ: هُوَ مَبْتَدَأٌ قَدْ حُذِفَ خَبَرُهُ<sup>(1)</sup>.

### سُرَّ افْتِتَاحُ السُّورَةِ بِقِصَّةِ زَكَرِيَّا ۞:

لَمَّا اشْتَمَلَتِ السُّورَةُ عَلَى ذِكْرِ قِصَّةِ مَرْيَمَ ۞ وَمَا فِيهَا مِنْ خَوَارِقِ  
الْعَادَاتِ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ حَمْلُهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ وَوِلَادَتُهَا عِيسَى  
۞؛ نَاسَبَ ذَلِكَ افْتِتَاحُ السُّورَةِ بِذِكْرِ زَكَرِيَّا ۞، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:  
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾؛ لَمَّا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ قِصَّتُهُ أَيْضًا مِنْ  
خَرَقِ الْعَادَةِ بِوِلَادَةِ ابْنِهِ يَحْيَى ۞ وَقَدْ بَلَغَهُ الْكِبَرُ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ  
عَاقِرًا، فَكَانَ ذِكْرُ قِصَّتِهِ كَالْتَّوَطُّئَةِ التَّدْرِجِيَّةِ بِذِكْرِ الْغَرِيبِ فَلِالْأَغْرَبِ،  
وَيُقَوِّي التَّنَاسُبَ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ أَنَّ زَكَرِيَّا كَانَ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۞<sup>(2)</sup>.

### حُسْنُ الْاِفْتِتَاحِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذِكْرُ﴾:

اِفْتِتَحَتْ قِصَّةُ مَرْيَمَ وَعِيسَى ۞ بِمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ شُؤْنِ آلِ بَيْتِ  
مَرْيَمَ وَكَافِلِهَا زَكَرِيَّا ۞، وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَذَكِيرٌ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

التَّوَطُّئَةُ  
التَّدْرِجِيَّةُ بِذِكْرِ  
الْغَرِيبِ فَلِالْأَغْرَبِ

التَّذَكِيرُ بِرَحْمَةِ  
اللَّهِ تَعَالَى  
وَكِرَامَتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 252، والآوسي، روح المعاني: 8/ 378.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 62.

وكرامته لأوليائه<sup>(1)</sup>؛ فناسب تصدير الآية بقوله سبحانه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾؛ ليستحضر السامع رحمة الله السابغة قبل سرد تفاصيل القصص الواردة في السورة.  
إعراب ﴿ذِكْرُ﴾:

تعدّد أوجه  
إعرابه باحتمال  
كونه مبتدأ أو  
خبرًا

اختلف في إعراب ﴿ذِكْرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ على وجوه:  
أحدها: أنه خبر لـ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ على تقدير كونه اسمًا للسورة، أي: المسمّى به ذكر رحمة ربك إلخ؛ فإن ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومُعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها<sup>(2)</sup>.  
وثانيها: أنه خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: (هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك)<sup>(3)</sup>.  
وثالثها: أنه مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: (فيما أوحى إليك ذكر رحمة ربك)<sup>(4)</sup>.

### دلالة إضافة الذكر إلى الرحمة:

الرحمة تُحيط  
بالعباد كإحاطة  
الأم بوليدها

تحتل إضافة الذكر إلى الرحمة في قوله سبحانه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ وجهين:  
أحدهما: أن تكون من إضافة المصدر لمفعوله، وهو الرحمة، والرحمة في نفسها مصدر أيضًا مضاف إلى فاعله، و﴿عَبْدَهُ﴾ مفعول به، والنائب له نفس الرحمة، وفاعل الذكر غير مذكور لفظًا، والتقدير: (أن ذكر الله رحمته عبده)<sup>(5)</sup>.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 16.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 252 / 5، والآلوسي، روح المعاني: 378 / 8.

(3) الزمخشري، الكشاف: 3 / 3، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 4، وأبو حيان، البحر المحیط: 237 / 7.

وإبن عاشور، التحرير والتنوير: 61 / 16.

(4) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4 / 4، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 4، والسمين الحلبي، الدر للصون:

561 / 7.

(5) السمين الحلبي، الدر للصون: 562 / 7.

والثاني: أَنَّ ﴿ذَكَرَ﴾ مصدرٌ مضافٌ إلى فاعله على الاتِّساع، و﴿عَبَّدَهُ﴾ منصوبٌ بنفسِ الذِّكْرِ، والتَّقديرُ: (أَنَّ ذَكَرْتَ الرَّحْمَةَ عَبْدَهُ)، وجعلُ الرَّحْمَةِ ذَاكِرَةً لَهُ مجازٌ<sup>(1)</sup>، ومعنى ذَكَرَهَا بَلَّوْغُهَا وإِصَابَتُهَا؛ كما يقالُ: ذَكَرَنِي معروفٌ فلانٍ، أي: بَلَّغَنِي<sup>(2)</sup>.

### براعة الاستهلال في ذكر الرَّحْمَةِ في مَطْلَعِ السُّورَةِ:

ذُكِرَتِ الرَّحْمَةُ في فاتحةِ قِصَّةِ زكريَّا ﷺ، التي هي فاتحةُ هذه السُّورَةِ الكريمة؛ إِذْنا بَأَنَّ اللهَ يَرْحَمُ مِنَ التَّجَا إِلَيْهِ<sup>(3)</sup>، وإِشارةً إلى أَنَّ هذه السُّورَةَ ستَكُونُ مشحونةً بِذِكْرِ الرَّحْمَةِ، ولذلك كَثُرَ فيها ذِكْرُ (الرَّحْمَنِ) حتَّى بلغ سبع عشرة مرَّةً، أي: ربع ما ورد في القرآن الكريم كُلِّهِ؛ ولما في السُّورَةِ من معاني الرَّحْمَةِ المتمثلة في القصصِ المذكورِ، فهي رحمةٌ متواليةٌ على العبادِ، فهو من براعة الاستهلال.

### نكتةُ إِضافةِ الرَّحْمَةِ إلى الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الأُلُوهِيَّةِ:

أُضِيفَتِ الرَّحْمَةُ إلى الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا، فقيلَ: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾، ولم يُقَلْ مثلاً: (ذَكَرَ رَحْمَةَ اللهِ)؛ لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ أَنسَبُ بِسِياقِ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّهَا مُنْبِئَةٌ بِحَسَبِ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيَّ عَنِ الإِحْسَانِ وَتَرْبِيَةِ الشَّيْءِ وَتَكْمِيلِهِ شَيْئاً فَشَيْئاً، وفي ذَلِكَ تَبْيِيهُ عَلَى أَنَّهُ جَلٌّ وَتَقَدُّسٌ قد رَحِمَ زَكْرِيَّا ﷺ بِمَقْتَضَى كَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَأَعْطَاهُ وَلِداً كاملاً في بابِ النُّبُوَّةِ، وبَشَّرَهُ بِنَفْسِهِ، وتولَّى تَسْمِيَتَهُ ولم يُشْرِكْ فيها مَنْ تَقَدَّمَ<sup>(4)</sup>، ولا يَضِيعُ ولا يَخِيبُ مَنْ كَانَ مَحْوَطاً بِالرَّحْمَةِ والرُّبُوبِيَّةِ.

### نكتةُ إِضافةِ الرُّبُوبِيَّةِ إلى ضَمِيرِ الْخِطَابِ:

إِنَّ جُعِلَ الْخِطَابُ في قولِهِ تعالى: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ لِلنَّبِيِّ ﷺ - وهو الظَّاهِرُ - فَالتَّعَرُّضُ لوصفِ الرُّبُوبِيَّةِ المُنبِئَةِ عَنِ التَّبْلِيغِ إلى

الرَّحْمَةُ  
عنوانُ السُّورَةِ  
ومضامينُ  
مقاطِعِها دائرةٌ  
عليها

هبةُ الولدِ  
الوارثِ للنُّبُوَّةِ أَثَرُ  
من آثارِ الرُّبُوبِيَّةِ

تكميلُ للخِطَابِ  
بإِضافةِ الرُّبُوبِيَّةِ  
إلى ضَمِيرِهِ

(1) السمين الحلبي، الدر المنصور: 562 / 7.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 253 / 5.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 61 / 16.

(4) القاسمي، محاسن التأويل: 84 / 7.

الكمال، مع الإضافة إلى ضميره ﷺ - للإيدان بأن تنزيل السورة عليه تكميلٌ له<sup>(1)</sup>، وفي هذه الإضافة أيضًا تنويهٌ بشأنه ﷺ<sup>(2)</sup>، وإن جعل الخطاب عامًا لكل أحد ففي ذلك أيضًا تكميلٌ للمخاطبين بتعليمهم سلوك سبيل زكريا ﷺ في الابتغال والالتجاء إلى مولى النعم كلها جل وتقدس.

### سرُّ التعبير بالعبودية:

الْعُبُودِيَّةُ  
الْحَقَّةُ طَرِيقُ  
الْعِزِّ وَالشَّرَفِ  
وَالرَّحْمَةِ

في التعبير عن زكريا ﷺ في قوله جلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا﴾ بصفة العبودية أولاً تنويهٌ لشأنه، وتقخيرٌ لحاله<sup>(3)</sup>؛ لأنَّ العبودية لله تعالى هي مُنتهى العِزِّ والشَّرَفِ والكرامة؛ بخلاف عبودية العبد لسيِّد يأخذ خيره فهي تسوء وتُحزِنُ، أمَّا العبودية لله تعالى فيأخذ العبد فيها خير سيِّده<sup>(4)</sup>، وفي هذا الوصف أيضًا إشارة إلى أنَّ العبودية سبيلٌ نيلِ الهبات والكرامات والرحمات.

### فنُّ بديع الطِّباق:

لَا زَالَتِ الْبَشَرِيَّةُ  
بِخَيْرٍ مَا دَامَتْ فِي  
رِضَا رَبِّهَا

بين لفظِ الربِّ والعبد في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا﴾ محسنٌ بديعٍ معنويٍّ وهو الطِّباق، فالآية توحى بفيضان الرحمة مِنْ جَنَابِ الرَّبِّ إلى رُبُوعِ الْعَبْدِ، وفيه إشعارٌ بأنَّ هذه العلاقة هي العلاقة الثَّابِتَةُ في أصولها وثمراتها، وهي التي تأتي بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ للبشرِ إِنْ التَّزَمُوا بِأَحْكَامِهَا دُونَ تَحْرِيفٍ أَوْ تَبْدِيلٍ.

### بلادةٌ إضافة لفظ (عبد) إلى الضمير:

تَشْرِيفُ زَكِرِيَّا  
وَتَقْرِيرُ  
بَأْنِهِ مُتَّصِفًا  
بِالْعُبُودِيَّةِ

في إضافة زكريا ﷺ المُعْبَرِ عَنْهُ بوصفِ الْعَبْدِ إلى ضميرِ الرَّبِّ في قوله عزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا﴾ تنويهٌ به<sup>(5)</sup>،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 253/5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 61/16.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 187/12.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 9020/15.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 61/16.

وتشريفُ له ببيان أن عبوديتهُ لربه لا للخلق<sup>(1)</sup>، ودلالةً على كمالِ قُربِهِ مِنْ رَبِّهِ الَّذِي رَحِمَهُ، وأجابَ دُعاءَهُ<sup>(2)</sup>.

### بلادةُ التفصيل بعد الإجمال:

قوله سبحانه: ﴿زَكْرِيَّا﴾ بدل كلٍّ مِنْ ﴿عَبْدَهُ﴾، أو عطْفُ بيانٍ له<sup>(3)</sup>، وفائدةُ الإبدالِ هي التَّكْرِيرُ والتَّأْكِيدُ<sup>(4)</sup>؛ لما في سلوكِ طريقي الإجمالِ أولاً في ﴿عَبْدَهُ﴾ والتفصيلِ ثانياً في ﴿زَكْرِيَّا﴾؛ مِنْ تشويقِ السَّامِعِ إلى معرفةِ المرادِ بالعبدِ، فإذا وردَ عليه بيانهُ بعدَ ذلكَ تمكَّنَ في نفسه فضلَ تمكُّنِ.

### بلادةُ النظمِ المعجزِ في تقديم الخبر:

جاءَ نظمُ قوله ﷺ: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾ على طريقةٍ بديعةٍ مِنْ الإيجازِ والعُدُولِ عَنِ الأسلوبِ المتعارفِ في الإخبارِ في كلامِ النَّاسِ، وأصلُ الكلامِ على ما جرتْ عليه عادةُ المتكلمين: ذَكَرْ عَبْدَنَا زَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي خَشِيتُكَ، فَكَانَ فِي تَقْدِيمِ الْخَبَرِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ اهْتِمَامٌ بِهَذِهِ الْمُنْقَبَةِ لَهُ، وَإِنْبَاءٌ أَنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ مَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِ<sup>(5)</sup>، وهذا من أماراتِ النظمِ البديعِ في الكلامِ المعجزِ المفايرِ لكلامِ البشرِ.

### براعةُ الظَّرفِ في الرِّبْطِ بَيْنَ المعاني:

﴿إِذْ﴾ في قوله عزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُو نِدَاءً حَفِيًّا﴾ ظرفُ زمانٍ منصوبٌ، وقدِ اخْتَلَفَ فِي نَاصِبِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِـ ﴿ذَكَرْ﴾<sup>(6)</sup>، والثَّانِي: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِـ ﴿رَحِمَتْ﴾<sup>(7)</sup>، والثَّالِثُ:

تقريرُ المعاني  
بعد إجمالها  
أرسخُ في الأذهانِ

مَزِيَّةُ نَظْمِ  
الْقُرْآنِ فِيمَا  
اِحْتَوَاهُ مِنْ بَدِيعِ  
الْأَسْلُوبِ مِمَّا  
هُوَ مُغَايِرٌ لِكَلَامِ  
النَّاسِ

وظيفةُ الظَّرفِ  
بيانُ المعاني لا  
بيانَ زمانها

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 9020 / 15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 168 / 12.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 4.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 187 / 12.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 61 / 16.

(6) العكبري، التبيان: 866 / 2، وأبو حيان، البحر المحيط: 239 / 7.

(7) العكبري، التبيان: 866 / 2، والنسفي، مدارك التنزيل: 325 / 2، وأبو السعود، إرشاد العقل

السليم: 253 / 5.

أَنَّهُ بَدَلٌ مِّنْ ﴿زَكَرِيَّا﴾ بَدَلِ اشْتِمَالٍ؛ لِأَنَّ الْوَقْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ﴾ [مريم: 16] (1).

ووظيفة الظرف الربط بين الإخبار عن رحمة الله تعالى بشأن زكريّا ﷺ، وتفصيل ذلك، فليس المقصود بالظرف تعيين الزمان، بل تعيين ما تضمنه ذلك الزمان، وظيفه بيانية تَجْمَلُ الانتقال بين المعاني.

### سُرُّ التَّعْبِيرِ بِالنَّدَاءِ لَا بِالْدُّعَاءِ:

النَّدَاءُ بَيَانٌ  
كَاشَفٌ عَنْ شِدَّةِ  
اِحْتِيَاجِ الدَّاعِي  
وَالْتَّجَانِهِ

عُبرَ بالنَّدَاءِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنَدَاءٌ خَفِيًّا﴾ مجازًا؛ لِأَنَّ أَصْلَ النَّدَاءِ رَفْعُ الصَّوْتِ وَظُهُورُهُ بِطَلَبِ إِقْبَالِ الْمُنَادَى (2)، وَهَذَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى (3)، فَيُحْمَلُ النَّدَاءُ هُنَا عَلَى الدُّعَاءِ بِطَلَبِ حَاجَةٍ؛ لِأَنَّ شَأْنَ الدُّعَاءِ فِي الْمُتَعَارَفِ أَنْ يَكُونَ جَهْرًا، أَيْ: تَضَرُّعًا؛ لِأَنَّهُ أَوْقَعَ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ (4)، وَالْمَعْنَى: دَعَا رَبَّهُ وَنَاجَاهُ بِذَلِكَ فِي مَحَرَابِهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: 39]، فَبَيَّنَ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ فِي صَلَاتِهِ كَمَا نَادَى فِي الصَّلَاةِ (5)، وَلَفْظُ النَّدَاءِ يَوْمِيٌّ إِلَى شِدَّةِ اِحْتِيَاجِ الدَّاعِي لِمَا فِي دُعَائِهِ مِنْ طَلَبِ الِاسْتِجَابَةِ.

### نَكْتَةُ اخْتِيَارِ لَفْظِ الرَّبِّ:

اخْتِيرَ لَفْظُ الرَّبِّ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، وَلَمْ يُقَلَّ مَثَلًا: (إِذْ نَادَى اللَّهَ)؛ لِسَبَبَيْنِ:

مُنَاسِبَةٌ  
لَفْظِ الرَّبِّ  
لِسِيَاقِ الدُّعَاءِ  
وَالِاتِّجَاءِ وَطَلَبِ  
الْحَاجَاتِ

الْأَوَّلُ: لِمَا يُنبِئُ عَنْهُ لَفْظُ الرَّبِّ بِحَسَبِ مَعْنَاهُ اللَّغْوِيِّ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ الْمُنَاسِبِينَ لِسِيَاقِ الدُّعَاءِ وَالِاتِّجَاءِ وَطَلَبِ الْحَاجَاتِ.

الْآخَرُ: لِتَبْلَاغِ الْكَلَامِ مَعَ مَا قَبْلَهُ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ذِكْرُ

(1) السمين الحلبي، الدر المنثور: 563 / 7.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 188 / 12.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 9022 / 15.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 16.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 76 / 11.

رَحِمَتْ رَبِّكَ»، ومع ما بعده؛ وهو قوله عزَّ مِنْ قَائِلٍ: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا»، ويفيد تكرار لفظِ الرَّبِّ في الآياتِ الثلاث أنَّ زكريَّا ﷺ كانَ محفوظًا بعنايةِ الربوبيةِ حينَ نادى، وحينَ رَجِمَ وأجيبَ سُؤْلُهُ.

### بلغةٍ إضافة لفظِ الربوبيةِ إلى الصَّмирِ:

أُضيفَ لفظُ الرَّبِّ إلى ضميرِ زكريَّا ﷺ في قوله جلَّ مِنْ قَائِلٍ: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ»؛ تشریفًا للمُضافِ إليه، وإيذانًا بالقُربِ في مقامِ الافتقارِ والالتجاءِ، فضلًا عمَّا في هذه الإضافةِ مِنَ التَّنَاغُمِ مع الإضافةِ السابقةِ في قوله ﷺ: «ذَكَرُ رَحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ»؛ إذ توحى السابقةُ بإفاضةِ الرَّحمةِ مِنَ الرَّبِّ إلى عبده بإجابةِ دعايِهِ، وتوحى هذه بضراعةِ العبدِ وفَقْرِهِ إلى ربِّهِ ومالكِ أمرِهِ عندَ السُّؤالِ.

### نكتةُ التَّأكيدِ بالمصدرِ:

لم يُقتَصَرْ على ذكرِ فعلِ النَّداءِ في قوله سبحانه: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ»، بل ذَكَرَ مَعَهُ مصدرُهُ فَقِيلَ: «نِدَاءً»؛ وذلك لأُمُورٍ: الأوَّلُ: تأكيدُ فعلِهِ الصَّادِرِ مِنْ زكريَّا ﷺ، والثَّاني: تمهيدٌ لوصفه بـ «خَفِيًّا» الَّذِي يترتَّبُ عليه مناسبةُ فاصلةِ الآيةِ لما قبلها وما بعدها، والثَّالثُ: بيانُ أنَّ هذا النَّداءَ لم يكنِ إِلَّا خَفِيًّا؛ ففيهِ احتِراسٌ ممَّا قد تتوَهَّمُهُ الأذهانُ من رفعِ الصَّوتِ.

### غرضُ تنكيرِ: «نِدَاءً»:

جاءَ بلفظِ النَّداءِ في قوله ﷺ: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» مُنْكَرًا؛ لإفادةِ تعظيمِ شأنِ هذا النَّداءِ الَّذِي اجتمعَ فيه صفاتُ شريفةٍ، منها كونهُ صادِرًا مِنْ نبيِّ كريمٍ، وَمِنْ قَلْبٍ خاضِعٍ مُفْتَقِرٍ مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ تعالى، لا يرى غيرَهُ، ولا يرجو سِوَاهُ، ومنها كونهُ خَفِيًّا ضارِعًا لا رِياءَ فِيهِ، ولمناسبةِ الوصفِ بكونِهِ خَفِيًّا، فَإِنَّ تنكيرَ النَّداءِ مناسبٌ للخفاءِ.

تشریفُ المضافِ  
إليه والإيذانُ  
بقُربِهِ مِنْ رَبِّهِ

الاحتِراسُ عن  
أوهامِ الأفهامِ

مناسبةُ التَّنكيرِ  
لوصفِ الخفاءِ

النِّدَاءُ كُنَايَةً عَنْ  
شِدَّةِ الْاِحْتِيَاجِ  
وَالْخَفَاءِ  
احْتِرَاسَ يُؤَكِّدُ  
الْكُنَايَةَ

### بلاغة الجمع بين النداء والخفاء:

لسائل أن يسأل عن بلاغة وصف النداء بالخفاء في قوله سبحانه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، إذ النداء رفع الصوت، والخفاء خفض الصوت؟! وقيل في ذلك أجوبة:

**الأول:** أنه أتى بأقصى ما استطاع من رفع الصوت، إلا أن الصوت كان ضعيفاً بسبب الضعف والكبر، فكان نداءً نظراً إلى قصده، وخفياً نظراً إلى الواقع<sup>(1)</sup>، ففيه تصوير للواقع التاريخي.

**الثاني:** أن ﴿خَفِيًّا﴾ مجاز عن الإخلاص، والمعنى: نادى نداءً لا رياء فيه<sup>(2)</sup>، فيكون ﴿خَفِيًّا﴾ كناية عن صفة الإخلاص.

**الثالث:** لا منافاة بين كونه نداءً وكونه خفياً؛ لأنه نداء من يسمع الخفاء<sup>(3)</sup>.

**الرابع:** النداء بيان لشدة الاحتياج لا لرفع الصوت، فهو كناية عن الحال التي كان عليها زكريا عليه السلام، وصفة الخفاء هي احتراس عن توهم أنه رفع صوته بما لا يليق، وهذا الاحتراس هو الذي يؤكد الكناية، وهذا الجواب أوضحها، وأما الإخلاص فمستفاد من واقع الحال، لا من نظم الكلام.

### فائدة التعبير بصيغة المبالغة لا اسم الفاعل:

اختيرت صيغة المبالغة في قوله جلَّ اسمُه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، ولم يُقَلْ مثلاً: (نداءً خافياً)؛ لما تدلُّ عليه صيغة المبالغة؛ من أن زكريا عليه السلام قد اجتهد في إخفاء دعائه عن الناس، ولأنه مناجاة لله وضراعة إليه وقد قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]<sup>(4)</sup>، وليبيان أن هذا الدعاء كان بين العبد

الإيماء إلى  
الإعجاز الغيبي  
في الإخبار عن  
خفيا أحوال  
السابقين

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 507/21.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 562/9.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 63/16.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4609/9.

ومولاه لم يطلع عليه أحدٌ من الناس؛ ليعلمَ أنه خفيٌّ، وفي وصف الخفاءِ بصيغةِ المبالغةِ إعجازٌ غيبيٌّ، إذ منَ أعلمِ النَّبيِّ ﷺ بأنه كان خفيًّا، بل شديدَ الخفاءِ.

### ❁ الفروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

#### النِّداءُ والدُّعاءُ:

من الفروق بين النِّداءِ والدُّعاءِ:

**الأوَّلُ:** النِّداءُ في الأصلِ يكونُ برفعِ الصَّوتِ بما له معنى، يقولُ الرَّجُلُ لصاحبه: نادِ معي؛ ليكونَ ذلكَ أُنْدَى لَصَوْتِنَا، أي: أبعدَ له، والدُّعاءُ يكونُ برفعِ الصَّوتِ وَخَفْضِهِ، يقالُ: دَعَوْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، ودَعَوْتُ اللَّهَ فِي نَفْسِي، ولا يقالُ: نادَيْتُهُ فِي نَفْسِي<sup>(1)</sup>.

**الثَّانِي:** الدُّعاءُ قد يكونُ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ولا كلامٍ، لكنَّ بِإِشَارَةٍ تُتَبَيَّنُ عَنْ مَعْنَى، ولا يكونُ النِّداءُ في الأصلِ إلَّا برفعِ الصَّوتِ وامتدادِهِ<sup>(2)</sup>.

**الثَّالِثُ:** النِّداءُ قد يقالُ بـ(يا) أو (أيا) ونحو ذلكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُضَمَّ إِلَيْهِ الاسمُ، والدُّعاءُ لا يكادُ يُقالُ إلَّا إذا كانَ مَعَهُ الاسمُ، نحو: يا فلانُ<sup>(3)</sup>.

#### الإخفاءُ والإسْرارُ:

يشتركُ الإخفاءُ والإسْرارُ في أَنَّ كِلَا مِنْهُمَا يُطْلَقُ عَلَى سِتْرِ الشَّيْءِ، فيقالُ: خَفِيَ الشَّيْءُ يَخْفَى، وأَخْفَيْتُهُ<sup>(4)</sup>، ويقالُ: أَسْرَرْتُ الشَّيْءَ إِسْرَارًا، خِلَافَ (أَعْلَنْتُهُ)، وَمِنْ ذَلِكَ: السِّرُّ، وهو النِّكاحُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لَأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يُعْلَنُ بِهِ<sup>(5)</sup>، والسِّرُّ أَيْضًا الْحَدِيثُ الْمَكْتُومُ فِي النَّفْسِ<sup>(6)</sup>.

النِّداءُ يكونُ  
برفعِ الصَّوتِ،  
والدُّعاءُ يكونُ  
برفعه وَخَفْضَهُ  
وبالإشارة

الإخفاءُ يُطْلَقُ  
على سِتْرِ الشَّيْءِ  
وَإِظْهَارِهِ،  
وَالْإِسْرَارُ يُطْلَقُ  
على سِتْرِهِ

(1) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 534.

(2) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 524.

(3) الراغب، المفردات: (دعو).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خفي).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سرر).

(6) الراغب، المفردات: (سرر).

وقد يُطلق الإخفاء على إظهار الشيء، فيقال: خفيت الشيء، إذا أظهرته<sup>(1)</sup>.

وقد ورد استعمال الإخفاء والإسرار في القرآن الكريم في سياق الكتمان والستر لقول أو فعل، وقول كل منهما بالإعلان؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: 77]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25]، وقول الإخفاء أيضاً بالإبداء - وهو الإظهار - تارة؛ كما في قوله سبحانه: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: 154]، وبالبدو - وهو الظهور - أخرى؛ كقوله جل شأنه: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: 28]، وقول الإسرار أيضاً بالجهر؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ [الملك: 13]، ومن تتبع مواضع استعمال الإخفاء والإسرار في القرآن الكريم يلحظ أن استعمال الإخفاء أكثر.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خفي).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،  
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة  
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م  
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي  
الطبعة الأولى: 2024 م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:  
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12  
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-  
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.  
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.  
ردمك : 978-9948-768-27-2  
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.  
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12.  
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-  
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).  
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،  
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري  
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE  
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»